السنة الأولى

وزارة التّعليـم العالـي والبحـث العلمـيّ

المركـز الجامعـيّ عبد الحفيظ بوالصـوف، ميلة.

معهد الآداب واللّغات — قسم اللّغة والأدب العربيّ

محاضرات في البلاغة

التَّخَصُّص: دِرَاسَاتٌ لُغَوِيَّـة

الدّكتـورّ: فاتــح مـرزوق

أستــاذ اللّغويّـات

البريـد الالكتـرونيّ: f.merzouk@centre-univ-mila.dz

الفسبكة (الفايسبوك): فاتح للدراسات اللغوية

المجمـــــوعــة (أ)

المدرج: 06

2025 –2024

المحاضرة الثّالثة:

(الأسلوب الخبريّ وأضربه)

1-علم المعاني: قبل الولوج في الأسلوب الخبريّ وقواعده وأضربه، حبّذا تقديم لمحة حول علم المعاني ومفهومه.

1-1-مفهوم علم المعاني: سنحاول تبيان تعريف البلاغة عند الباغيين باختصار:

-**أبو يعقوب السّكاكي:** يعرّفه في (المفتاح) على أنّه: "هو تتبّع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" يتّضح من قول السّكاكيّ أنّ علم المعاني يرتكز على الاعتبارات العلميّة الدّقيقة:

أ-**التّركيب:** سواء تعلّق الأمر بالتراكيب النحويّة المعروفة في الكلام العربيّ، أم طريقة استعمال المقامات الأخرى؛ كالمجاز والكناية والاستعارة وغيرها؛ فهذه الأخيرة تعدّ من التراكيب في الاستعمال العربيّ.

ب-**مقتضى الحال:** "ويقصد به "إصابة المتكلّم بكلامه المعنى المناسب للمقام أو الغرض الّذي يصاغ الكلام من أجله"

كما عرفه (عبد المتعال الصعيدي): "هو علم يُعرف به أحوال اللّفظ العربيّ الّتي بها يطابق مقتضى الحال"

ويعدّ تعريف (جلال الدّين السّيوطيّ) من أجود التّعاريف؛ كونه يركز على الدّقة في خصوية هذا العلم؛ حيث يقول: "حدّ علم المعاني علم تعرف به أحوال اللّفظ العربيّ الّتي بها تطابق مقتضى الحال". وتجدر الإشارة أنّه شرح هذا التعريف قائلا: "... وقولنا: تعرف به أحوال اللّفظ مخرج لما يعرف به أحوال غير اللّفظ، وقولنا: العربيّ مخرج لغيره إذا الكلام في اللّغة العربيّة وبقيّة الحدّ مخرج بقية علوم العربيّة وعلم البيان وإن أطلق عليه أيضا المطابقة لمقتضى الحال؛ بناء على تفسيره بأنّه الاعتبار المناسب".

2-الإسناد الخبريّ: تجدر الإشارة إلى أنّ الكلام ينقسم قسمين: خبر وإنشاء من حيث الأساليبُ. وقد أبان (السّكاكي) عن التقسيم العربيّ لكلامهم من خلال الخبر والإنشاء فيقول: "والسّابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطّلب المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة... وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل" الظّاهر من قوله أنّ التقسيم الوارد للكام العربيّ من خبر وإنشاء اعتباره العلميّ الدّقيق الاستقراء.

ويشير الباحث البلاغيّ (أبو موسى) إلى أقسام أحوال الإسناد الخبريّ: أغراض الخبر، أضرب الخبر، التّجوّز في الإسناد.

ومحصّلة القول هنا أنّ الإسناد الخبريّ هو "أنّ الخبر يرجع إلى الحكم بمفهوم لمفهوم، وهو الّذي نسمّيه: الإسناد الخبريّ؛ كقولنا: شيء ثابت، شيء ليس ثابتا، فأنت في الأوّل تحكم بالثّبوت للشّيء، وفي الثّاني باللاثبوت في الشّيء". ومفاد هذا القول الّذي أشار إليه (السّكاكي) هو أنّ الإسناد الخبريّ قائم على عناصر الإسناد.

كما أنّ الإسناد الخبريّ يرتكز على مرتكزات ثلاث. وهي:

-فنّ يرجع إلى حكم؛

-وفنّ يرجع إلى المحكوم له، وهو المسند إليه؛

-وفنّ يرجع إلى المحكوم به، وهو المسند.

2-1- مفهوم الخبر: عرّفه السّكاكي على أنّه: "الكلام المحتمل للصّدق والكذب أو التّصديق التّكذيب" يتبيّن من قول السّكاكي أنّ الخبر منوط بتصديق أو تكذيب. والتّعريف ذاته أشار إليه القزويني في كتابه (التّلخيص) بعدما عرض أقسام الكلام قائلا: "لأنّ الكلام إمّا خبر أو إنشا؛ لأنّه إنْ كان لنسبته خارجٌ تطابقه أولا تطابقه فخبر".

وتجدر الإشارة إلى أنّ (القزويني) اشترط في مطابقة الخبر للواقع حين صدقه؛ إذ يقول: "صدق الخبر مطابقته للواقع وكذبه عدمها، وقيل: مطابقته اعتقاد المُخْبِر ولو خطأ"

وعليه؛ فإنّ الحكم عن صدق الخبر وتكذيبه واقع في حكم المتكلّم او المخبر ولعلّ سبب ذلك بما علّله (السّكاكي) في قوله: "فأمّا السّبب في كون الخبر محتملا للصّدق والكذب؛ فهو إمكان تحقّق ذلك الحكم مع كلّ واحد منهما".

2-2-أغراض الخبر: لحظ علماء البلاغة أنّ للخبر أغراضا أصليّة تستكن المعاني والمراد من كلام المخبر؛ فحصروها في ثنتين:

أوّلها: فائدة الخبر: من خلال المسمّى يتّضح أنّ المخبر يفيد فائدة للسّامع دون العلم بها، وهذا ما صرّح به (القزويني) بقوله: "أن قَصْد المخبِر بخبره إفادة المخاطَب إمّا نفس الحكم؛ كقولك: (زيد قائم) لمن لا يعلم أنّه قائم". يتّضح من قول (القزويني) أنّ فائدة الخبر شرطها؛ خلو المخاطَب من الحكم والفائدة، وكأنّ بالمخبِر يفيد فائدة إضافيّة للسّامع؛ أي: أنّ المخاطَب خالٍ من الفائدة؛ وهنا تكمن جمال العربيّة وسرّها في التّراكيب المختلفة ذات النمط التّركيبيّ الواحد في منظور السّامع، وقد علّل السّكاكيّ هذا الرّأي ممّا وقع بين أبي العباس وأبو يوسف الكنديّ في قول القائل: (عبد الله قائم) حيث

يقول: "ويؤيّد ما ذكرناه جوابُ أبي العباس للكندي عن قوله: إنّي أجد في كلام العرب حشوا، يقولون: (عبد الله قائمٌ) و (إنّ عبدَ الله قائمٌ) و(إنّ عبدَ الله لقائم) والمعنى واحد، بأنْ قال: بل المعاني مختلفة؛ فـ(عبد الله قائم) إخبار عن قيام زيد، و(إنّ عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل، و(إنّ عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر".

ما أشار إليه (القزويني) ينمّ بأهميّة التّراكيب اللّغويّة وأهميتها في السّياقات المختلفة الّتي تبرز المعنى المستكن فيها:

-(زيد قائم)= إخبار عن فائدة؛ [≠ لا وجود لـ(إنّ/ لام الابتداء).

-(إنّ عبد الله قائم)= جواب لسؤال، هل عبد الله قائم؟ [إنّ].

-(إنّ عبد الله لقائم)= هل عبد الله قائم؟ وهو يعلم بأنه قائم [إنّ+ لام الابتداء].

وقد ضرب لنا مثلا (محمد محمد أبو موسى) عن فائدة الخبر في قوله: "مثل أنْ يقول لك: جاء فلان وأنت لا تعرف هذا، ويسمّى هذا: فائدة الخبر" وعليه؛ فإنّ فائدة الخبر= جهل المعلومة، والسّماع بها لأوّل وهلة.

-**ثانيها: لازم الفائدة:** من خلال الاسم يتبيّن أنّ الفائدة واردة لا محالة، وإنّما تقوية الفائدة من لدن المخاطِب للمخاطَب؛ لذا عُرِّفت

على أنّها "كون المخبر عالما بالحكم؛ كقولك لمن زيد عنده، ولا يعلم أنّك تعلم ذلك-زيد عندك- ويسمّى هذا: لازم الفائدة". ما يمكنه أنْ نقوله في هذا النّوع من الغرض أنّ يركز على السّامع كونه عالما بالفائدة أم لا؛ فلما يقول لي قائل: (اسمك فاتح) فأنا أعلم أنّ اسمي فاتح، ولكن السّامع قصد أنْ يعلمني بأنّه يعرف اسميّ. فلازم فائدته لفائدتي، فهو لم يفدني فائدة جديدة؛ لذا يقول (محمد محمد أبو موسى) :"فهو لا يفيدك فائدة الخبر، وإنّما يفيدك لازم الفائدة؛ أي: أنه يعرف الخبر".

مؤكدّات الخبر (الإسناد الخبريّ)/ الجملة الخبريّة: للإسناد الخبريّ (الخبر) مؤكّدات تفيد تأكيد الخبر وتقويته وإعلامه أنّه يقول قولا جازما؛ لذا عرّف على أنّه ما : "أخذ لتقوية صدق الكلام الخبريّ يما يؤكّده من ألفاظ اسم التّوكيد".

وسنحاول عرض الآن أهم المؤكّدات الّتي تؤكّد الخبر وتبين فوائده الإخباريّة سواء تعلّق الأمر بالجملة الفعليّة أم الاسميّة.

- **م1: تقديم الفاعل: لقوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** فالجملة مركبة نمطها [مبتدأ+ خبر جملة فعلية (يهدي)]. فالجملة ها هنا بمثابة التّكرير؛ أي: الله يعصمك/ يعصمك الله.

- **م2: كلمة (قد) الحرفية:** و "تكون حرف تحقيق، أو تقريب، أو توقّع، أو تقليل ..." وتجدر الإشارة إلى أنّها تدخل على الفعل الماضي والمضارع من أجل تحقيق وتأكيد الفعل؛ لقوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾.
- **م3: القسم:** كقولنا: (والله لأحفظنّ المعلقات السّبع) فالقسم في قوله: (والله) ومثلها: تالله، بالله، أيم الله، حياتي، لعمرك، حلفت، آليت.
- **م4: نونا التّوكيد الثقيلة والخفيفة:** " وهي نون ثقيلة عليها تضعي، وخفيفة حركتها السّكون فقط، وهما حرفان لا محلّ لهما من الإعراب، يدخلان على الفعل المضارع والأمر فيبنيانهما على الفتح" وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف 32] فالفعل (يسجنّ) ثقيلة و(ليكونن) خفيفة.
- **م5: لام الابتداء:** هي لام تدخل على:

المبتدأ= لأنّه يبتدأ بها الكلام مثل قوله تعالى: ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ﴾ حيث نلحظ في الآية [(لام الابتداء+ مبتدأ (أنتم)]. كما

الفعل المضارع= مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾.

الفعل الجامد (بئس/ نِعْم): مثل قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

- **م6: اللاّم المزحلقة:** "وهي التي تزحلقت من اسم (إنّ) إلى الخبر وكان أصلها لام الابتداء نحو: (إنّك لبطل)... كما تتصل باسم (إنّ) كان الخبر جارّا ومجروا، نحو: (إنّ في ذلك لعبرة) فالمثال الأولّ (إنّ+ اسمها + لام المزحلقة+ خبرها)، وأمّا المثال الثّاني: (إنّ+ جار ومجرور+ لام المزحلقة+ اسم إنّ مؤخر).
- **م7: الأحرف المشبّهة بالفعل (إنّ+ أنّ):** "وتفيدان تأكيد النّسبة بين اسمها وخبرها، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ .
- **م8: ضمير الفصل:** "يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، واشترط الجمهور أنْ يكون الأوّل معرفة وأما الثّاني فمعرفة، أو كالمعرفة، في أنّه لا يقبل (أل) نحو (زيد هو المنطلق) وقوله: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: 20]". ومثله كثير في التعبير القرآنيّ، مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ﴾ ومثله: ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾. نلحظ في الأمثلة الآتية ضمير الفصل كالآتي:

-فعل+ ضمير متصل+ ضمير الفصل (هو)؛

-الفعل (كنت)+ الضمير المتصل+ ضمير الفصل+ الخبر (الرّقيب).

- **أحرف التّنبيه: (ألَا+ يا+ الهاء + أمَا...)** ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾
- **أمّا الشّرطيّة:** تأتي "حرف شرط وتوكيد وتفصيل... والتوكيد ذكره الزمخشريّ، فقال: (أمّا) حرف يعطي الكلام فضل التّوكيد".

4-أضرب الخبر (الإسناد الخبريّ): سبقت الإشارة إلى أنّ علم المعاني يقوم على التركيب اللّغويّ، والإسناد الخبريّ من الرّكائز الأساسيّة في علم المعاني؛ كونه يقوم على طرفي الإسناد (المسند والمسند إليه) أضف إلى الأنماط التّركيبيّة المختلفة:

-ج اسميّة= مسند إليه (مبتدأ) + مسند خبر)؛

- ج اسميّة منفيّة= نفي+ مسند إليه + مسند.

- ج ف= مسند (فعل) + مسند إليه (فاعل).

وأمّا بخصوص تقسيم أضرب الخبر، فقد قسّمه البلاغيّون ثلاثة أقسام: ابتدائيّ+ طلبيّ+ إنكاريّ.

3-1-الخبر الابتدائيّ: هذا النّوع من الضّرب يكون فيه المخاطَب خاليا من الفائدة، وهنا لا يحتاج لإنْ يؤكّد الكلام؛ أيْ: من

دون ذكر المؤكّدات الّتي سبقت الإشارة إليها، وهنا "المخاطب خالي الذّهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتّردّد فيه، استغنى عن مؤكّدات الحكم؛ كقولك: (جاء زيد وعمرو ذاهب) فيتمكّن في ذهنه؛ لمصادقته إيّاها خاليا" ومن هنا نستنتج أنّ الخبر الابتدائيّ أنْ يكون المخاطب خالي الذّهن من الفائدة؛ وكأنّ به فائدة إخباريّة مباشرة.

خبر ابتدائيّ= الذّهن خال+ انعدام المؤكّدات.

3-2-الخبر الطّلبيّ: وهذا النّوع من الضّرب يختلف عن الأول؛ كونه "متصوّرا لطرفيه متردّدا في إسناد أحدهما إلى الآخر طالبا له حسن تقويته بمؤكّد؛ كقولك: (لزيد عارف) أو (إنّ زيدا عارف)" وهنا إشارة إلى أنّ هذا المؤكِّد له سبب من خلال السّياق الوارد فيه؛ أيّ سؤال سائل معرفة زيد؛ (هل زيد عارف؟ فيردّ: لزيد عارف):

خبر طلبيّ= سؤال سائل⇐ أداة واحدة (لام الابتداء).

3-3-الخبر الإنكاريّ: وهذا النّوع يشترط فيه مؤكِّدين؛ لأنّ المخاطب يعلم وينكر؛ فكان لزاما تأكيده بأداتين فأكثر؛ أي: "كان حاكما بخلافه، وجب توكيده بحسب الإنكار؛ فتقول: (إنّي صادق)

لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، و(إنّي لصادق) لمن يبالغ في إنكاره".

والبيّن ممّا سبق أنّ الخبر الإنكاريّ يحوي مؤكّدين مثل قوله:(إنّي لصادق).